العدو والتعامل مع نظام الحكم هذا او ذاك . ان الفلسطينيين الذين توحدوا منذ فترة قريبة فقط بدوا الآن يحزبون ويشقسمون على انفسهم .

ركبنا احدى سيارات لجنة المتابعة العربية ، وكانت تحمل علما اخضر كبير يرفرف على جانبها ، وصعدنا الى تلال جرش الصخرية ذات اللون البني الفاتح ، وتوقفنا في المركز المحلي لقيادة جيش التحرير الفلسطيني قرب الآثار الرومانية الجميلة . ونظرت من شرفة المركز الذي يشغل بناية صغيرة لأرى رجالا مسنين من مخيم غزة القريب يستدفئون في شمس الشتاء ورؤوسهم محنية ومنتشرين هنا وهناك في مجموعات صغيرة . ونادرا ما كانوا يظهرون أي اهتمام بما يدور حولهم . وبعضهم كان ينظر بصمت . ولدى خروجنا من المركز المحلي لقيادة جيش التحرير وجدت ان معظمهم، وعلى الرغم من تجعد وجوههم وبياض ذقونهم ، لا يتجاوز الخمسين . انهم الشبان الذين تركوا بيوتهم وحقولهم قبل عشرين سنة ونيف .

توقفنا ثانية في مخيم غزة الواقع على الطريق الى منطقة الاحراج . وهنا أحاط بنا عدد لا يحصى من الاولاد وكذلك قلة من الرجال المتجهمين السائرين سيرا بطيئا . وبدا الاولاد سعداء واصحاء . أما الشبان فبدا أن جوا مأساويا يلفهم . وهنا انتابني حس باليأس . وأدركت في لمح البصر ما المقصود بالتمييز الماركسي بين الوضع الثوري في حد ذاته والوضع الثوري **من أجل** ذاته ، أدركت الفرق بين العيش تحت عبء الظروف القاهرة وبين امتلاك الوعي الثوري لتغيير تلك الظروف .

وسرعان ما ادركنا ان مسألة الوحدة (بين مختلف المنظمات) لم تكن مسألة نظرية بحاجة الى حل بواسطة الاتفاق الشفوي . وعدنا الى بيروت مقتنعين انه قبل القيام بأي شيء يجب اولا ان يوجد الوضع حلوله بذاته اذ ان الحلول المتأنية عن التفكير تفكيرا ذاتيا اثبتت انها قليلة الفائدة على الرغم من صحتها النظرية .

منظور الوعي الثوري

بعد أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ أخذ الناس يتحدثون حديثا مختلفا . وفي هذه المجموعة من المقابلات يظهر ذلك جليا ، فنجد الناطقين الرسميين باسم المقاومة يوجهون كلامهم الى بعضهم بعضا والى شعبهم هم وليس الى « الرأي العام العالمي » ووسائل الاعلام . فهم لا يسعون وراء خلق صورة معينة لانفسهم وما عادوا يتنافسون الواحد مع الاخر من أجل الدعاية . وهذا يضفي على المقابلات ميزة نادرة من الصراحة . اضف الى ذلك ان هناك متطلبات ملحة جديدة نتيجة للظروف التي تغيرت . اننا نتحسس موقفا يتطلب اتصالا ولن يرضى بالطريقة الخطابية القديمة . وليس هذا مجرد تغير في التكتيك الاعلامي ، انه يشير الى تغيرات داخل الحركة وربما الى دخولها مرحلة متقدمة من النضوج .

ان الناطقين باسم المقاومة في موقفهم من مختلف المسائل التي يتناولها هذا الكتاب بالبحث يعبرون عن وعي مشترك يتجاوز وعي الافراد او المجموعات . انهم يتحدثون نيابة عن الفلسطينيين ككل ، ومن خلالهم ، عن الصامتين والمقهورين في العالم العربي بأسره . انهم يؤكدون العزم على تحمل الهجمات الصهيونية على حقوقهم القومية والانسانية ، ويعبرون عن رفض النظام السياسي والاقتصادي للامبريالية الغربية المعاصرة التي تحول دون ان تحقق المنطقة استقلالها السياسي والاقتصادي التام . وهم ينظرون الى اسرائيل ضمن هذا النظام على انها فرع للامبريالية تغذيه وتعززه الولايات المتحدة التي تلقى مصالحها في المنطقة دعم اسرائيل وتأييدها . ومهما اعتبرت اسرائيل نفسها مستقلة فانها تبقى خاضعة موضوعيا لحكم منطق الوضع الامبريالي الراهن ومتطلباته والذي تشكل هي جزءا منه . انها بالنتيجة تشكل تحديا للتطلعات